الاستعاذة، وما هيتها، وأركانها، واللطائف المستفادة من الاستعاذة وهكذا يمضى الجزء الأول وعدد صفحاته مائتان وتسعون صفحة مع تفسير سورة الفاتحة فقط.

فهو بعد أن ينتهى من تفسير الاستعاذة، يفسر البسملة وما يعلق بها قراءة وكتابة، ومباحث الاسم العقلية والفعلية، والأسماء الدالة على الصفات الحقيقية، والأسماء الدالة على كيفية الوجود، وأقسام الصفات الحقيقية، والأسماء الدالة على الذات.. إلخ. حتى ينتهى من سورة الفاتحة كما قدمنا فى ٢٩٠ صفحة.

ثم يبدأ فى سورة البقرة، فيتناول قضاياها، ومن بينها ضرب الأمثال، وهو من الأمور المستحسنة فى العقول ويدل على وجوه، أحدها إطباق العرب والعجم على ذلك، أما العرب فذلك مشهور عندهم وقد تمثلوا بأحقر الأشياء فقالوا فى التمثيل بالذرة: أجمع من ذرة، وأضبط من ذرة، وأخفى من ذرة، وفى التمثيل بالذباب، ألح من الذباب، وأخطأ من الذباب، وأطيش من الذباب، وأشبه من الذباب بالذباب، وكذا فى الجرادة والفراشة والبعوضة مما قاله العرب، ومما جاء فى كتاب (كليلة ودمنة) مما يتصل بالأشياء الهينة البسيطة، فظهر أن الله تعالى ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة. وأما العقل فلأن من طبع الخيال المحاكاة والتشبه فإذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، وإذا ذكر معه الشبه أدركه العقل مع معاونة الخيال، ولا شك أن الثانى يكون أكمل وأيضًا فنحن نرى أن الإنسان يذكر معنى ولا يلوح به كما ينبغى، فإذا ذكر المثال اتضح وصار هينا مكشوفا، فإذا أراد الله أن يقبح عبادتهم الأصنام وعُدُولُهم عن الرحمن صلح أن يضرب المثل بالذباب ليبين أن قدر مضرتها لا يندفع بهذه الأصنام، ويضرب المثل لبيت العنكبوت ليبين أن عبادتها أوهن من ذلك وفى مثل ذلك كل ما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأوضح.

وهكذا يمضى الفخر الرازى فى تفسيره الفريد المتميز بسمة خاصة هى الاهتمام بالطبيعة والكائنات والحقائق العلمية والنظرة التجريبية.